المبحث السادس

من مكايد الشيطان
في مسائل الإيمان بالملائكة

كل حركة في السماوات والأرض من حركات الأفلاك، والنجوم والشمس، والقمر، والرياح، والسحاب، والنبات، والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض، كما قال تعالى:{فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا} [النازعات: ٥]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل - عليهم السلام - وأما المكذبون للرسل، المنكرون للصانع، فيقولون: هي النجوم[١]، ولإبليس مكايد عظيمة في مسائل الإيمان بالملائكة منها:

أولاً: إنكارهم:

يسعى إبليس جاهداً لإبطال الإيمان بالملائكة وهو هدف عظيم له لأن ذلك يؤدي إلى إنكار الرسالات والكتب، بل إنكار الخالق جل وعلا، فلم يتم معرفته والإيمان به تعالى إلا بما أخبرتنا به الرسل عن طريق الوحي الذي تلقته عن ملائكة الله تعالى ومن وسائله في ذلك:

١- تفسير اللفظ بما لم يستعمل له، كقول النصارى: إن روح القدس هو حياة الله[٢].

فالذي فسر النصارى به ظاهر كلام المسيح هو تفسير لا تدل عليه لغة المسيح وعادته في كلامه ولا لغة غيره من الأنبياء والأمم، بل المعروف في لغته وكلامه وكلام سائر الأنبياء تفسيره بما فسرناه، وبذلك فسره أكابر علماء النصارى، وأما ضلال النصارى المحرفون لمعاني كتاب الله عز وجل فسروه بما يخالف معناه الظاهر وينكره العقل والشرع[٣].

(١) مكايد الشيطان د. قذلة القحطاني ص٥٢٦. إغاثة اللهفان (٢ / ١٧٢، ١٧٣).
(٢) الجواب الصحيح لابن تيميه (٣ / ١٩٨، ١٩٩).
(٣) المصدر نفسه (٣ / ١٩٨)،

٢ – قول الفلاسفة بأنهم عقول فعالة متولدة عن نفس الله تعالى تولد العلة من المعلول لا ينفك عنه، وجعلوه كالابن والبنت، فالعقول بنوه والنفوس بناته[١].

ومنهم من يزعم بأن العقل الفعال هو جبريل، ويزعمون أن كلام الله يفيض على قلوب العباد بالعلوم والمعارف، وأن الملائكة تشكل في النفس بصورة أشكال نورانية وهذا الفيض يكون بحسب تلقي النفس بهذا الفيض الذي يمكن اكتسابه بنوع معين من الرياضيات وقوة التخيل والحس الباطن[٢].

أما هؤلاء أعظم ضلال من اليهود والنصارى ومشركي العرب فإنهم في الحقيقة لا يجعلون الرب تعالى خالقاً لشيء ولا يفعل فعلاً بمشيئته واختياره ولا يجعلون الملائكة عباده بل يجعلون العقل الأول هو رب كل ما سوى الله، ويقال لهم: إن العقل في لغة المسلمين كلهم من أولهم إلى آخرهم ليس ملكاً من الملائكة ولا جوهراً قائماً بنفسه بل هو العقل الذي في الإنسان، ولم يسم أحد من المسلمين قط أحداً من الملائكة عقلاً، ولا نفس الإنسان الناطقة عقلاً بل هذه من لغة اليونان.

ولهذا يؤول بهم الأمر إلى أن يجعلوا الملائكة والشياطين أعراضاً تقوم بالنفس ليس أعياناً قائمة بنفسها حية ناطقة ومعلوم بالاضطرار أن هذا خلاف ما أخبرت به الرسل واتفق عليه المسلمون[٣].

٣– قول من يدعي أن الملائكة هي القوى الخيرة التي في الإنسان

(١) مكايد الشيطان د. قذلة ص٥٢٧.
(٢) مكايد الشيطان ص ٥٢٨.
(٣) بغية المرتاد لابن تيمية (١/ ٢١٩).

والتي تحثه وتدفعه لعمل الخير، بعكس قوى الشر الرديئة وهي الشياطين[١].

وهذا القول ينافي ما اتفق عليه المسلمون ودلّ عليه الكتاب والسنة[٢]، كما أنه يؤدي إلى جعل الملائكة والشياطين أعراضاً قائمة بالنفس لا وجود لها في الواقع[٣].

ثانياً: عبادتهم وتقديسهم:

وهي طريقة أخرى للشيطان - أعاذنا الله منه - فزين لأناس عبادة الملائكة وتقديسها لإيقاعهم في الشرك والكفر وعبادته[٤].

قال تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾} [سبأ: ٤٠، ٤١].

فالشيطان يدعو المشركين إلى عبادته ويوهمهم أنه ملك[٥].

وتعليقاً على هذه الآية: يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك، وإنما أمرتهم بذلك الجن ليكونوا عابدين للشياطين التي تتمثل لهم، كما يكون للأصنام شياطين وكما تنزل الشياطين على بعض من يعبد الكواكب ويرصدها، حتى تنزل عليه صورة فتخاطبه، وهو شيطان من الشياطين[٦].

---

(١) مكايد الشيطان ص ٥٢٩.
(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣٧٤).
(٣) بغية المرتاد (١/ ٢٥١).
(٤) مكايد الشيطان ص ٥٣٠.
(٥) الجواب الكافي لابن القيم (١/ ٩٩).
(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ١٣٥).

وقد عبد الملائكة طوائف: منهم مشركو العرب الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله[1]، كما ذكر الله تعالى في القرآن في قوله تعالى:{ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾} [الزخرف: ١٩، ٢٠].

وفي قوله:{وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم}.. جمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ.

أحدها: جعلهم الله تعالى ولداً، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًّا كبيراً.

والثاني: دعواهم أنه أصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان، ولا إذن من الله عز وجل بل مجرد الآراء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء.

والرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه [2].

* * *

(١) المصدر نفسه (١٧/ ٢٧١، ٢٧٢)، مصائد الشيطان ص ٥٣١.
(٢) تفسير ابن كثير (٦ / ٢٢٢) مصائد الشيطان ص٥٣٢.